

رأس الحسين (عليه السلام)

<?xml encoding="UTF-8?">



واقعة الطفّ كان لها صدى عالمياً ولشناعتها فقد استنكرها الجميع من مسلمين وغيرهم، ولم يرتضها العقل البشري، لأنها لم تنسجم مع قوانين الكون ومبادئه الإنسانية، وقد أحدثت هذه الجريمة زلزالاً في عالم الكون، وقد نقل لنا التاريخ شواهد كثيرة منها:

دخل على يزيد بن معاوية رأس الجالوت فرأى الرأس بين يديه فقال: أيّها الخليفة، رأس من هذا؟ قال: هذا رأس الحسين. قال: فمن أمّه؟ قال: فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). قال: فبم استوجب القتل؟ قال: أهل العراق كتبوا إليه ودعوه أن يجعلوه خليفة فقتله عاملي عبيد الله بن زياد، فقال رأس الجالوت: ومن أحق منه بالخلافة وهو ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فما أكفركم؟! وقال: اعلم يا يزيد، أن بيني وبين داود مائة وثلاثة جُدأ واليهود يعظّموني، ولا يرون التزويج إلا برضاي، ويأخذون التراب من تحت أقدامي، ويتبركون به، وأنتم بالأمس كان نبيكم بين أظهركم، واليوم وثبتم على ولده فقتلتموه، فتباً لكم ولدينكم، فقال يزيد: لولا أن بلغني عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: (صلى الله عليه وآله وسلم) من قتل معاهداً كنت خصمه يوم القيامة (عليهم السلام) لقتلتك لتعرّضك، فقال رأس الجالوت: يا يزيد، يكون خصم من قتل معاهداً ولا يكون خصم من قتل ولده، ثمّ قال رأس الجالوت: يا أبا عبد الله، اشهد لي عند جدّك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، فقال له يزيد: الآن خرجت من دينك ودخلت في دين الإسلام، فقد برئنا منك، ثم أمر بضرب عنقه (1).

عن أبي الأسود قال: لقيت رأس الجالوت (2) فقال: إن بيني وبين داود سبعين أباً، وإن اليهود إذا رأوني عظّموني، وعرفوا حقي، وأوجبوا حِفْظي، وإن ليس بينكم وبين نبيكم إلا أب واحد قتلتم ابنه (3). وعن زيد بن أرقم قال: كنت عند عبيد الله بن زياد لعنه الله إذ أتى برأس الحسين بن علي، فوضع في طست بين يديه، فأخذ قضيباً فجعل يفتربه عن شفته وعن أسنانه، فلم أر ثغراً أحسن منه كأثّة الدّرّ، فلم أتمالك أن رفعت صوتي بالبكاء، فقال: ما يبكيك أيّها الشيخ؟ قلت: يبكيني ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقبل بعض موضع هذا القضيب ويلثمه ويقول: (عليه السلام) اللّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبَهُ فَأَجَبَهُ (عليه السلام) (4). عن المنهال بن عمر قال: أنا والله رأيت رأس الحسين حين حمل وأنا بدمشق، وبين يدي الرأس رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ قوله تعالى: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً» (5). فانطق الله الرأس بلسان ذرب، فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي (عليهم السلام) (6). عن عليّ بن الحسين زين العابدين أنّه قال: (عليه السلام) لمّا أتى برأس الحسين (عليه السلام) إلى يزيد كان يتّخذ

مجالس الشرب، ويأتي برأس الحسين فيضعه بين يديه ويشرب عليه، فحضر ذات يوم أحد مجالسه رسول ملك الروم، وكان من أشرف الروم وعظمائها فقال: يا ملك العرب رأس من هذا؟ فقال له يزيد: مالك ولهذا الرأس؟ قال: إني إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كل شيء رأيته، فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه، فقال يزيد: رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، فقال: ومن أمه؟ قال: فاطمة الزهراء. قال: بنت من؟ قال: بنت رسول الله فقال الرسول: أف لك ولدينك، ما دين أحس من دينك، اعلم أنني من أحفاد داود وبينني وبينه آباء كثيرة والنصاري يعظموني، ويأخذون التراب من تحت قدمي تبركاً؛ لأنني من أحفاد داود، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله وما بينه وبين رسول الله إلا أم واحدة، فأني دين هذا؟

ثم قال له الرسول: يا يزيد، هل سمعت بحديث كنيسة الحافر؟ فقال يزيد: قل حتى اسمع، فقال: إن بين عمان والصين بحراً مسيرته سنة ليس فيه عمران إلا بلدة واحدة في وسط الماء طولها ثمانون فرسخاً وعرضها كذلك، وما على وجه الأرض بلدة أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت والعنبر وأشجار العود، وهي في أيدي النصاري لا ملك لأحد فيها من الملوك، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة، أعظمها كنيسة الحافر في محرابها حقة من ذهب معلقة فيها حافر يقولون: إنه حافر حمار كان يركبه عيسى، وقد زينت حوالي الحقة بالذهب والجواهر والديباج والابرسيم، وفي كل عام يقصدها عالم من النصاري، فيطوفون حول الحقة ويزورونها ويقبلونها ويرفعون حوائجهم إلى الله ببركتها، هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون انه حافر حمار كان يركبه عيسى نبيهم، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم، لا بارك الله فيكم ولا في دينكم.

فقال يزيد لأصحابه: اقتلوا هذا النصراني، فإنه يفضحنا إن رجع إلى بلاده، ويشنع علينا، فلما أحس النصراني بالقتل قال يا يزيد: أتريد قتلي؟! قال نعم.

قال: فاعلم أنني رأيت البارحة نبيكم في منامي وهو يقول لي: يا نصراني أنت من أهل الجنة. فعجبت من كلامه حتى نالني هذا، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ثم أخذ الرأس وضمه إليه، وجعل يبكي حتى قتل (عليهم السلام) (7).

روي أنه كان في مجلس يزيد هذا خبر من أحبار اليهود فقال: يا أمير المؤمنين، من هذا الغلام؟ قال: علي بن الحسين. قال: فمن الحسين؟ قال: ابن علي بن أبي طالب. قال: فمن أمه. قال: فاطمة بنت محمد، فقال له الخبر: يا سبحان الله! فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة، بئسما خلفتموه في ذريته، فو الله لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطاً لظننت أنا كنا نعبد من دون ربنا، وأنتم فارقتم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه وقتلتموه، سواء لكم من أمه، فأمر يزيد به فوجئ بحلقه ثلاثاً، فقام الخبر وهو يقول: إن شئتم فاقتلوني، وإن شئتم فذروني، إني أجد في التوراة: من قتل ذرية نبي فلا يزال ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات أصلاه الله نار جهنم. قال بعض العلماء: إن اليهود حرموا الشجرة التي كان منها عصا موسى أن يخبطوا بها، وإن يوقدوا منها النار، تعظيماً لعصا موسى، وإن النصاري يسجدون للصليب لاعتقادهم فيه أنه من جنس العود الذي صلب عليه عيسى، وإن المجوس يعظمون النار لاعتقادهم فيها إنها صارت برداً وسلاماً على إبراهيم بنفسها، وهذه الأمة قد قتلت أبناء نبيها، وقد أوصى الله تعالى بمودتهم ومولاتهم، فقال عز من قائل: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) (8).

وخرج علي بن الحسين ذات يوم فجعل يمشي في سوق دمشق فاستقبله المنهال بن عمرو الضبابي فقال: (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ فقال: أمسيت - والله - كبنى إسرائيل في آل فرعون،

يُذَبِّحُونَ أبناءهم، ويستحيون نساءهم، يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) عربي، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً قرشي منها، وأمسينا آل بيت محمد ونحن مغضوبون مظلومون مهجورون مقتولون مشردون مطرودون، فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما أمسينا يا منهال(عليهم السلام)(9).

1- مقتل الحسين لأبي مخنف: ص 202.

2- الجالوت: الجالية من اليهود أي الذين جلوا عن أوطانهم ببيت المقدس، ورأس الجالوت: رئيسهم، وكان من ولد داود (عليه السلام)؛ العقد الفريد: ج 4 ص 351.

3- العقد الفريد: ج 4 ص 351؛ جواهر العقدين في فضل الشرفين: ص 414.

4- تاريخ مدينة دمشق: ج 14 ص 236 ح 3545؛ سير أعلام النبلاء: ج 4 ص 426 رقم: 270.

5- سورة الكهف: الآية 9.

6- الخصائص الكبرى: ج 2 ص 127.

7- مقتل الحسين للخوارزمي: ج 2 ص 72؛ الصواعق المحرقة: ص 198؛ جواهر العقدين في فضل الشرفين: ص 413.

8- سورة الشورى: الآية 23. مقتل الحسين للخوارزمي: ج 2 ص 101.

9- مقتل الحسين للخوارزمي: ج 2 ص 71.